الأستاذة : تاوريريت نبيلة

المحاضرة السادسة: النقد النفسي.

السنة الثانية:دراسات أدبية

يقوم هذا النقد بدراسة النماذج النفسية في الأعمال الأدبية، وربط الأدب بالحالة النفسية للأديب. وهذا النقد يستمد آلياته من " نظرية التحليل النفسي، والتي أسسها سيغموند فرويد S.Freud(1856-1939) في مطلع القرن العشرين، فسر على ضوئها السلوك الإنساني برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور) [1].

هذا التمييز بين الوعي واللاوعي هو الذي انطلق منه سيغموند فرويد، واعتبره العامل الأساس في الإبداع، لأنه الجزء الخفي للشخصية الإنسانية، من هنا قام بتفسير الأحلام التي تمثل النافذة التي يطل منها اللاوعي، فقد نشر هذا العالم النمساوي كتابه" تفسير الأحلام" سنة 1900 مؤكدا فيه« أثر الحياة النفسية للطفل والأثر الذي يتركه الوالدان فيها، ثم يفسر موضوعات أدبية فيردها إلى عامل اللبيدو (العامل الجنسي)، ويرجع ظاهرتها إلى كبت في اللاوعي من عهد الطفولة، ومصارعة الوعي ومغالبته وقد وقف عند أوديب وهاملت»[2].

إن النقد النفسي يربط الأحلام برواسب وتجارب الأسلاف ربطا نفسيا، ويكشف الغموض ويتتبعه، وقد تواصلت مدارس علم النفس بعد فرويد على يد تلامذته خاصة كارل يونج (1875-1961)، صاحب مدرسة (علم النفس الجماعي).

فقد كان رفيقا وتلميذا لفرويد، لكنه استقل عنه وهو يرى أن «الشخصية الإنسانية لا تقتصر حدودها على التجربة الفردية، وإنما تمتد لتستوعب التجربة الإنسانية للجماعة الموغلة في التقدم، وأن هذه الشخصية تحتفظ في قراراتها بالنماذج... هذه النماذج تدخل في تركيب طريقة التخيل الإنساني، وطريقة التصور، وطريقة الشعور»[3].

هذا ويعتمد النقد النفسي على ما تحتويه الروح من إمكانيات تتحول إلى نشاط يمكن من إزاحة الحجب عن اللامرئيات للاوعي، كما يربط الفن بالمجتمع الذي أنتجه ويربط النص بلاشعور صاحبه.

ومن مدارس علم النفس والنقد النفسي مدرسة الجشتالت وهي«تهتم بدرس النفس وفق منهج الرياضيين الذين يعنون بالبحث الكلي المجرد بخلاف مدرسة فرويد فإنها تعني بتحليل الأفراد وتنتهي بهذا التحليل إلى وضع النظريات العامة»[4]، كما تسعى هذه المدرسة إلى البحث في الكيفية التي حدث بها العمل الفني وفي الأثر الكلي الذي يتركه في إدراك المتلقي بدلا من البحث في دوافع الكبت التي تصنع الإبداع.

رواج النقد النفسي عند العرب:

---

[1] يوسف وغليسي، مرجع سابق، ص22.

[2] حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، ص84.

[3] ينظر، صلاح فضل، مرجع سابق، ص62.

[4] شوقي ضيف، البحث الأدبي، ص116.

تأثر النقاد والأدباء العرب بالنقد النفسي، ونشأت مدرسة تعالج نقد الأدب من الزاوية النفسية وأنجزت شيئا متفردا في مجال علم نفس الإبداع، هذه المدرسة «أسسها عالم جليل هو مصطفى سويف الذي يعتبر كتابه" الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة" بمثابة نقطة الارتكاز الجوهرية لأعمال هذه المدرسة، التي لم تلبث أن تشعبت بعد ذلك لدى تلاميذه فكتبوا بحوثهم ودراساتهم اللاحقة عن بقية الأجناس الأدبية، كتب شاكر عبد الحميد " الأسس النفسية للإبداع الفني في القصة القصيرة"، وكتبت سامية الملة، "الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرح"»[5].

هذا ولا بد أن نشيرإلى أن نقادنا القدامى كانت لهم إسهامات في النقد النفسي، ففي المقدمة النقدية التي صدر ابن قتيبة بها كتابه" الشعر والشعراء" نجد عمق التجربة بالحالات النفسية للإبداع، في حديثه عن الشعراء وتقسيماته لهم على أساس الطبع واختلافهم من حيث الجودة والإتقان.

كما تكلم ابن طباطبا عن عملية الإبداع الشعري ومراحل تكون القصيدة وما للقارئ والمتلقي من ردة فعل، وهذا يدل على الحالة النفسية التي عنى بها النقاد العرب القدامى، التي تتعلق بالنص والقارئ والقراءة (التلقي).

وبالرجوع إلى نقادنا المحدثين نجد رواد النقد النفسي كعباس محمود العقاد (1889-1964) في دراسة لنفسية ابن الرومي في كتابه" ابن الرومي حياة من شعره" ودراسته النفسية لأبي نواس، ثم إبراهيم عبد القادر المازني(1890-1949) في دراسته لنفسية بشار بن برد، وكذا محمد النويهي (1917-1980) في دراسته لنفسية أبي نواس، أما طه حسين، وعز الدين إسماعيل،ومصطفى سويف، فقد تناولوا نفسية أبي العلاء المعري وعلاقتها بإبداعه الشعري.

هؤلاء النقاد العرب دافعوا عن النقد النفسي وتبنوه في دراساتهم لشعراء العصر العباسي، إلا أن هناك من هاجم هذا النقد ودعا إلى " فصل الأدب ودراسته عن العلوم المختلفة ومنها علم النفس[6]، أما العدو اللدود لهذا النقد فهو الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض، الذي وصف القراءة النفسية بالمريضة المتسلطة، ورفض الافتراض المسبق الذي تبنى عليه تلك الدراسات النفسية وهو مرضية الأديب[7].

عيوب النقد النفسي:

على الرغم من انتشار النقد النفسي في الدراسات الأدبية، بشكل غير مسبوق إلا أن هذا النقد وجهت له بعض الانتقادات والمآخذ نوجزها فيما يلي:

- مساواة النقد النفسي بين المبدع وغير المبدع.
- من الجائر أن ننظر إلى الأدب على أنه رد فعل لشذوذ جنسي، وأن الإبداع ثمرة كبت ومرض.

---

[5] صلاح فضل، مناهج النقد العام، ص58 ،59.
[6] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص27.
[7] ينظر، المرجع نفسه، ص28.

- الحكم على العمل الإبداعي لا يكون بمدى تواجد القيم النفسية فيه، بل بقيمه الشعرية الجمالية.
- غلبة التحليل النفسي على المنهج النقدي الذي يحلل النص الأدبي.

ويبقى للنقد النفسي أنصار ومعارضون ، وهناك من وقف موقفا وسطيا ، فمن الأول نجد العقاد ، جورج طرابيشي وخريستو نجم ، أما محمد مندور ومحي الدين صبحي وعبد الملك مرتاض فهولاء من المعارضين ، أما سيد قطب فقد وقف موقفا وسطا ، ولكل حجته في ذلك .